مجلة الآداب واللغات المجلد(05) العدد(02)ديسمبر2019، ص. ص73-89

بين لحمة الخطاب وأفق التوقع في شعر القرطاجنّي (مقاربة أسلوبية)

Between the weft of discourse and the horizon of expectation in the poem of KARTADJINI (stylistic approach)

عبد السميع موفق1*

[1]**جامعة محمد البشير الإبراهيمي . برج بوعريريج** -*abdessamie.mouffok@yahoo.fr*

تاريخ الارسال: 2020/04/02 تاريخ القبول:2021/07/15 تاريخ النشر: 2021/12/30

الملخص:

تختص هذه الدراسة بالبحث في علاقة المكوّن النّصّي بأفق التوقّع في الخطاب الشعري عند حازم القرطاجني، بحسبه معطى لغوي يشتمل على مقومات نسقية وأسلوبية، تجسدها بنية القصيدة التي تتفاعل فيها عناصر: صوتية، ومعجمية، وتركيبية، ودلالية، تتوزع على بنتي النص السطحية والعميقة، يتم الكشف عنها بفحص الخطاب الأدبي عبر ثلاث مستويات رئيسية (ذات مبدعة ـ إواليات نصّية ـ سلسلة دلالية). وهذه المستويات هي التي تشدّ مفاصل الخطاب وتهيكل جنسه، ومن خلالها تتحدّد استراتيجية العمل النقدي، بحيث يضعها الناقد نصب عينيه أثناء عملية التحليل والقراءة، فيتعامل مع الظواهر الخطابية وفق منطق تأويلي يراعي أحوال المؤلف لحظة الإبداع، وما تنهض به لغة النص وتراكيبه من معان، ثم يفحص مفاصله وأساليبه عضوا عضوا ـ وهو في الوقت ذاته ـ يرقب كلّ المؤشّرات النصية من حيث موقعها في الخطاب، والتفاعلات التي تحدث بينها على مدّ أبيات القصيدة والمآل الذي تتجه إليه في تجسيد ملمح المعنى وتحقيق المقصد المرجو من الرسالة الإبداعية، ويستثمر في استنطاق النص علوم اللغة العربية وآدابها، وكذلك نتائج العلوم المجاورة للأدب ويبرز خصائصه المتكاملة التي تقوم عليها وحداته الدنيا والعليا، وكل ذلك بنظرة كلية شاملة ومتآلفة وبأحكام مؤسّسة ورؤيا متجانسة.

---

*المؤلف المرسل.

بين لحمة الخطاب وأفق التوقع في شعر القرطاجنّي –مقاربة أسلوبية

الكلمات المفتاحية : النص – الخطاب – أفق التوقع – شعر القرطاجنّي – المقاربة الأسلوبية.

Key words *: text-discourse-expectation horizon- poem of KARTADJINI - stylistic approach.*

Abstract

This study is concerned with relationship between the textual component with the expectation horizon in the poetic discourse of HAZIM KARTADJINI since it is a linguistic datum that englobes cohesive and stylistic ingredients used in the structure of the poem where inside it different elements interact : phonological, lexical, syntactic and semantic distributed on surface and deep structures and which will be discovered through the examination the literary discourse through three major levels (innovative -textual mechanisms -semantic series) . These levels are the ones that consolidate the elements of discourse and framing its gender and within it the strategy of critical work is determined via the critic who focuses much on it during analysis and reading wherein he deals with discourse phenomena through interpretive logic taking into consideration the conditions of writer during innovation and what can be produced from the text language and its syntactic meanings. Then he examines its elements and its styles organ by organ- and at the same time he controls all the textual indicators as they are used in the discourse and the interaction that occur between them throughout the poem's stanzas and the destination where it goes in framing the allusive meaning achieving the expected end from the innovative thesis and it invests in the text pronunciation Arabic language and its literature and as well as the results of other sciences close to literature showing its complete features upon which its lower and upper units stand on and all that comes through a general, coordinated view and with fundamental rules and homogenous visions.

مدخل:

إن الحديث عن مكامن المعنى ومعانم الدلالة في الخطاب الشعري، قد يؤدّي إلى الحديث عن علوم البلاغة العربية الثلاثة: معاني وبيان وبديع. وقد اشتمل الشعر

العربي القديم على ظواهر بلاغية بدرجات متفاوتة، تظهر فاعلية الدلالة فيها بمؤشّرات متفاوتة حسب طبيعة أغراض القصائد، ودرجة انفعال أصحابها.

و"بنية الدلالة من صميم الحديث عن التواصل الذي يتحقّق في الشعر بطرق تتجاوز حدود الإخبار والإفهام إلى تحقيق أكبر قدر من الإثارة الجمالية للغة الشعر، التي تسعى في استمرار إلى تكثيف دوالها اللسانية ما دامت معانيها لا توجد على خطّ كلماتها"[1].

وقديما عُهدت البلاغة العربية المعيارية على أنها الفيصل الحاكم بين القصائد من حيث الجودة الفنية، والمفاضلة بين نوابغ الشعراء وفحولهم، حيث كان يعمد النقاد إلى إخضاع الشعر لقواعد البلاغة، ثم ينظرون إلى مدى التزام الشاعر في قصيدته بتلك القواعد ويسلّطون الضوء على أنواع الصور والأساليب والمحسنات البديعية التي حضرت في خطابه الشعري، ويتلمّسون المعاني والدلالات المستوحاة منه ومدى ملاءمتها للموضوع والغرض والموقف.

لذا كانت البلاغة تحظى بعناية فائقة، خاصة في الكشف عن شبكة المعنى والإيحاء الدلالي في مجال مقاربة الخطابات الشعرية؛ لأنّ علم الدلالة يقف "في طرف وعلم الصوت في طرف آخر ويكون النحو في الوسط. وبما أنّ اللغة نظام اتصالي، فوظيفتها ربط رسالة (المعنى) بمجموعة علامات (الأصوات اللغوية أو الرموز الكتابية)"[2].

ويجدر بالباحث الذي يريد أن ينجز مقاربة أسلوبية على خطاب شعري أن يعرف بأنّ: "البلاغة العربية نشأت ونمت مرتبطة بالنص القرآني أساسا، وفي أحيان أخرى كانت وثيقة الصلة بجنس الخطابة، حيث يجوز وصفها بأنها بلاغة الخطاب. غير أنّ هذه الحقيقة العلمية لا تنفي وجود حقيقة أخرى تتمثّل في وجود جنس أدبي مهيمن

---

[1] محمد العيّاشي كنّوني: شعرية القصيدة العربية المعاصرة، دراسة أسلوبية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط (431 هـ/010! م ، ص197.

[2] مجيد الماشطة: من علم المعاني إلى علم الدلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، دار المحبة، دمشق، سوريا، سنة (1429هـ/2009م)، ص61.

على وجه أصول البلاغة. فهي وإن كانت علما كليا يشمل الشعر والنثر، كما رأى قدامة بن جعفر، فإنها من منظورنا علم ألصق بأساليب الشعر وأنسب لطبيعته"[1].

ويروي ابن رشيق في كتابه <<العمدة>> أنه "قيل لبعض الحذاق بصناعة الشعر: لقد طار اسمك، واشتهر، فقال: لأني أقللت الحز، وطبقت المفصل، وأصبت مقاتل الكلام"[2]. وهذا القول مهما كان قادرا على إبراز "مرونة الأبنية المجازية وتنوعها، إلاّ أنّها لا تشكّل سوى مدخل لدراسة الإواليات الدلالية، والتحولات اللاحقة بالمعنى"[3].

ويقودنا الحديث عن الدلالة والإيحاء في النصوص الشعرية إلى التقرّب من حالات تّوتّر وانفعال الذات المبدعة، وبحسب منطلقين أساسيين أوّلهما: خصوصية النظم الشعري نفسه، الذي يردّ تسميته كثير من النقّاد لكونه نابعا من الشعور، وثانيهما: يتحدّد من الرغبة في القول الناتجة عن منبّهات ودوافع نفسية، ولا أدلّ على ذلك من قول سحار بن عيّاش العبدي حين سأله معاوية بن أبي سفيان: "ما هذه البلاغة فيكم؟ قال: شيءٌ تجيش به صُدورُنا فتقذفه على ألسنتنا"[4].

وتتضح فاعلية المنطوق الشعري في القدرة على التأثير وإحداث المفارقة بخرق نظام اللغة، ليصدم أفق انتظار المتلقي، "الأمر الذي يجعل من الدال الشعري ممثلا للمدلول أكثر مما يدل عليه، من هنا نستفيد أن الدلالة في الشعر لا تتعلق بتقرير المعنى وإنما تتعلق بالإيحاء بالمعنى؛ لأن ما تنقله الرسالة الشعرية ليس هو الموضوع، بل الانفعال الذاتي بالموضوع"[5].

---

[1] محمد مشبال: البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2007م، ص13.

[2] ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط، 981 م، ج1، ص224.

[3] CATHERINE Fronilhgue (introduction à l'analyse stylistique) bordas paris 1991 p146.

[4] الجاحظ: البيان والتبيين، بتحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، دت.ج1، ص96.

[5] محمد العياشي كنّوني: شعرية القصيدة العربية المعاصرة، دراسة أسلوبية، ص197.

وهذا ما نوّه به النقّاد الإنجليز حين ألحّوا على معنى المعنى (Mining of mining) في نظرياتهم النقدية، وقد سبقهم إلى ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني حين تحدّث عن اللفظ والمعنى، وما يحدثاه من صور خاصة في المتلقي بقوله: "فيعلموا أنهم لم يوجبوا للفظ ما أوجبوه من الفضيلة، وهم يعنون نطق اللسان وأجراس الحروف، ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا اللفظ، وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى، والخاصة التي حدثت فيه"[1].

وقد بذل البلاغيون والنقّاد المحدثون جهودا حثيثة "في بيان مدى صلابة الأساس العلمي لقيام بلاغة عامة، باعتبارها <<علما كليا>> يستوعب ثمار علوم اللسان وعلوم الإنسان"[2].

ومن هنا يتعيّن على الباحث النظر في "علم التخييل والتداول باعتبارهما خطابين يتجهان نحو قطبين متباعدين يقتضي بيان العنصر الجوهري الذي يجمعهما، ومدى الإنتاجية الإضافية المترتبة عن الجمع، فضلا عن الحاجة إلى ضبط الحدود مع الجوار المعرفي (المنطق والفلسفة واللسانيات)"[3].

وقد ينتج عن تفاعل المكوّنات السابقة في الخطاب الشعري، وعي نقدي حتمي يرجّح الاهتمام بمرجعية السياق العام كبنية مهيمنة على النص تحدّد رؤية المبدع وموقفه من القضية أو القضايا التي يطرحها. "ومن هذا المنظور السياقي الذي يراعي النص بأتمه بعد تجميع السمات الإيحائية في شبكة دالة، يؤدّي أثناء التحليل النصي إلى وصل العلاقة التي من شأنها أن تقوم بين الأسلوب والنوع الشعري"[4].

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت، لبنان، ط1، سنة(2004م/1424هـ)، ص297.

[2] محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، سنة 2012م، ص21.

[3] المرجع نفسه: ص15.

[4] محمد العياشي كنوني: شعرية القصيدة العربية المعاصرة، دراسة أسلوبية، ص(198/197).

والعمل الإبداعي الأدبي يستغل طاقات اللغة، يخدم القضية المتبناة، ملتمسا في ذلك تحريك حساسية المتلقي الفنية، ويستثمر علوم البلاغة في بناء "الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا، إيهاما أو تصديقا"[1].

ومن هنا تظهر ملامح الدائرة الحوارية بين المبدع والمتلقي، التي تعكس موقف المبدع من العالم، ورغبة المتلقي في معرفة العالم بعيون المبدع الفنان، وكلاهما ينشد ما يسمى بثنائية (الواقع/البديل)، التي بها يشخّص الشاعر الواقع الراهن ويستشرف المستقبل معتمدا على طاقاته الفكرية ومكتسباته المعرفية ورؤيته ذاتية، في تفسير الظواهر والمظاهر المرتبطة بالعالم الكوني، مفرغا كل ذلك في قوالب لغوية خاصة.

1 . مستوى التواصل (التأليف والتبليغ)

الكلام نوعان: خبر وإنشاء، إذاً كل خطاب في اللغة العربية لا يخرج عن صيغ أساليب الخبر أو الإنشاء التي حدّدتها البلاغة العربية القديمة، وقد قسّم علماء البلاغة العرب "عموم الكلام إلى خبر وإنشاء. أمّا الخبر عندهم فهو كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته، وأمّا الإنشاء فهو كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته. وإنهم بعد ذلك يختلفون في حدود الخبر والإنشاء اختلافا كبيرا، وإنهم ليبتعدون في تفصيلهم الكلام في هذا الموضوع عن واقع اللغة إلى حدّ فيه كثير من العقم والجمود وجفاف الفلسفة والمنطق والنحو"[2].

حتى أصبح الكلام عندهم حقيقة ومجازا لا يخرج عن الأطر التي وضعوها له في الأصل (أنواع الأساليب الخبرية والإنشائية)، وقد يرجع تصنيفهم هذا إلى مراعاة أحوال المتكلم، ورغائبه في التواصل مع الغير، مع مراعاة منطق اللغة العربية الطبيعي، حين ينحرف المبدع بالخطاب الإبداعي إلى مسالك غير معهودة.

---

[1] محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص6.

[2] محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، سنة 981 م، ص349.

والدرس الأسلوبي الحديث يتعامل مع المنطوق الشعري، وفق أقطاب المحور التواصلي الذي ارتضاه عبد الله محمد الغذّامي، وهذا "النموذج الاتصالي بعد إضافة العنصر السابع كالتالي:

الشفرة

السياق

الرسالة

المرسل المرسل

إليه

أداة الاتصال

العنصر النسقي

وتكون وظائف اللغة حينئذ سبعا بإضافة واحدة إلى الست المعهودة، وهنّ كالتالي:

1 . ذاتية / وجدانية (حينما يركز الخطاب على المرسل).

2 . إخبارية / نفعية (حينما يركز الخطاب على المرسل إليه).

3 . مرجعية (حينما يكون التركيز على السياق).

4 . معجمية (حينما يكون التركيز على الشفرة).

5 . تنبيهية (حينما يكون التركيز على أداة الاتصال).

6 . شاعرية / جمالية (حينما تركز الرسالة على نفسها، وهذه هي إضافة ياكوبسون التي بها أجاب على سؤال الأدبية وكيف تتحول اللغة إلى صفتها الأدبية).

7 . الوظيفة النسقية (حينما يكون التركيز على العنصر النسقي"[1]

وبالنظر إلى مقصدية ورغبة المبدع في الخطاب التبليغي، تظهر "معان أُخَرُ، وهي أنحاء المخاطبات مثل أن يكون المتكلم مخبرا أو مستخبرا آمرا أو ناهيا داعيا أو مجيبا ... فقد تبيّن بهذا أن المعاني صنفان: وصف أحوال الأشياء التي فيها القول، ووصف أحول القائلين أو المقول على ألسنتهم، وأنّ هذه المعاني تلتزم معاني أخرى

[1] عبد الله الغَذّامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الـ غرب، بيروت، لبنان، ط ، سنة012! م، ص66.

تكون متعلقة بها وملتبسة بها، وهي كيفيّات مآخذ المعاني ومواقعها من الوجود أو الفرض أو غير ذلك ونسب بعضها إلى بعض، ومعطيات تحديداتها وتقديراتها، ومعطيات الأحكام والاعتقادات فيها، ومعطيات كيفيّات المخاطبة"[1].

والشاعر يراعي في نظم كلامه أحوال المتلقي المتميّز، فيسعى جاهدا لتقديم خطابه في أبهى حلة، ويصوغه في أجمل تركيب يقدر على حمل الرسالة، فيتحاشى التراكيب الركيكة والتعابير الساذجة والسوقية، ويسترشد بمعادلة توفيقية تستجيب لرغبته القولية وتلائم الموقف الذي هو بإزائه. يقول السكاكي: "اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره"[2].

وبإخضاع إنتاج حازم القرطاجني الشعري لمعيار التصنيف البلاغي، حسب قانون علم المعاني الذي يقسّم الكلام إلى نوعين، يستحسن وضع جدول إحصائي يرصد ويستقصي كل أنواع الصيغ التي بنى عليها أشعاره التي بين دفتي الديوان، مع إقصاء القصيدة النحوية من هذا الإحصاء باعتبارها من ضمن الشعر التعليمي الذي لا يرقى إلى مستوى الجمالية الأسلوبية من جهة، ولكونها اجترار لقواعد النحويين ونظريات علماء اللغة، حيث نظمها من أجل تبسيط حفظها وتعلّمها، دون أن يراعي عنصري الجدة والابتكار فيها من جهة أخرى.

وقد أفضت النتائج الإحصائية . من دون عدّ منظومة النحو . إلى الأرقام التالية:

مجموع أبيات قصائد الديوان.	عدد أبيات الأسلوب الخبري.	عدد أبيات الأسلوب الإنشائي.
1769 بيتا	1550 بيتا	219 بيتا

[1] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، تونس، ط966 م، ص14.

[2] السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد: مفتاح العلوم، منشورات المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص77.

هذا الجدول يوضّح أن حازم القرطاجني كان يميل إلى الإخبار، أكثر من الإنشاء وقد يرجع ذلك إلى عوامل كثيرة منها: البيئة الطبيعية التي نشأ فيها، وظروف العصر التي صبغت نظمه الشعري، فتارة ينعى مرابع الأندلس وأخرى يذكر مناقب ومثالب الخلفاء الحفصيين ويحثّهم على استرداد الأندلس، وثالثة من أجل نيل الهبات والصلات ورفع منزلته في بلاطهم الذي كان يقيم به.

دون إغفال طبيعة تعليمه الميالة إلى البحث والنقد، أكثر من الإبداع وما يلازم ذلك من أخذ وتوارد، وذكر أخبار السابقين والاستشهاد بآثارهم، سواء كان ذلك في شكل معارضات شعرية أو أنساق لغوية علقت بذاكرته نسج على منوالها.

أمّا اعتماده على الصيغ الإنشائية بشكل قليل، فقد يرجع إلى طبيعة الأساليب الإنشائية نفسها، وما تحمله من فاعلية تأثيرية قوية، وخصوصيتها الأسلوبية الجزلة، هذا من جهة الشكل، أمّا من ناحية المعنى أو المضمون فهو يستعملها عند حاجته إلى الطلب أو تقديم نصائح وإرشادات، وشحذ الهمم؛ لأنها تحفّز المتلقي على سلوكات وأفعال، أكثر من المتعة الجمالية والفنية، والتّرف الفكري.

وحازم القرطاجني كان يرجو بشعره ردود أفعال، أكثر من أن يظهر بضاعته الفنّية، ومقدرته اللغوية. "وتتألف <<القدرة التواصلية>> لدى <<مستعمل اللغة الطبيعية>> من خمس ملكات على الأقل وهي: الملكة اللغوية والملكة المنطقية والملكة المعرفية والملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية"[1].

وبذلك تكون الملكة الشعرية خاضعة لحتمية الزمان والمكان ومقتضيات الحياة المتعدّدة، باعتبار الشاعر مثقف زمانه وعالم أقرانه، يبلّغ أفكاره عبر وسيلة اتصال العصر القديم المسموعة **(الخطاب الشعري)** كأفضل قناة للتواصل والتعبير عن الرأي.

أ . التواصل بأساليب الخبر:

---

[1] أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم5، ط1، سنة1993م، ص8.

الأسلوب الخبري هو ذلك الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب، يقول السكاكي: "اعلم أن مرجع الخبرية واحتمال الصدق والكذب إلى حكم المخبر الذي بحكمه في خبره بمفهوم لمفهوم"[1].

واحتمال الكلام الصدق والكذب يرجع عند البعض إلى فائدته الخبرية بالنسبة للمتلقي أو بإضافة حكم لخبر معلوم لمقصد بلاغي، أما عند الجمهور فيرجع ذلك الاحتمال إلى مدى مطابقته للواقع أم لا.

"أما السبب في كون الخبر محتملا للصدق والكذب فهو إمكان تحقق ذلك الحكم مع كل واحد منهما من حيث إنه حكم مخبر، ومرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب إلى استفادة المخاطب منه ذلك الحكم، ويسمى هذا فائدة الخبر كقولك زيد عالم لمن ليس واقفا على ذلك أو استفادته منه أنك تعلم ذلك كقولك لمن حفظ التوراة قد حفظت التوراة ويسمى هذا لازم فائدة الخبر، والأولى بدون هذه تمتنع، وهذه بدون الأولى لا تمتنع كما هو حكم اللازم المجهول المساواة، ومرجع كونه صدقا أو كذبا عند الجمهور إلى مطابقة ذلك الحكم للواقع أو غير مطابقته له وهو المتعارف بين الجمهور، وعليه التعويل"[2].

وينقسم الأسلوب الخبري من حيث قوّة التأثير في المتلقي والقدرة على إقناعه إلى ثلاثة أضرب حسب رأي البلاغيين وهي: **(الأسلوب الخبري الابتدائي، والأسلوب الخبري الطلبي، والأسلوب الخبري الإنكاري)**. وقد حضر الخبر بأضربه الثلاثة في ديوان شعر حازم، بنسبة عالية قدّرت بـ: **(87,62%)**، وقد حضر في **(1550)** بيتا، من مجموع **(1769)** بيتا.

وذلك يرجع لأسباب موضوعية وأخرى ذاتية، حضرت خلد الشاعر لحظة الإبداع سيتم التعرّف عليها في النماذج الشعرية المختارة، التي تهتم بها هذه المقاربة الأسلوبية أثناء عملية التحليل، وتقدّم حسب تصنيفات علماء البلاغة القدامى، لكن مع تغليب القيمة الدلالية والمعنوية على النظرة المعيارية التصنيفية.

---

[1] السكاكي: مفتاح العلوم، ص79.

[2] المرجع نفسه: ص79.

وهذه الدراسة لم تحصي أساليب الخبر بشكل مفصّل، ولم تحلّلها بشكل كلّي، وإنما اكتفت بمقاربة بعض العيّنات منها، مبرزة دورها المتفاوت في بنية قصائد القرطاجني وفاعليتها الشعرية على مستوى ردود الفعال والقدرة التأثيرية.

وهذه هي مولّدات الوحدات الكبرى التي تصبغ الخطاب الشعري عند القرطاجني. تكشف عنها مؤشّرات اللغة والصور والأنظمة السياقية، في أساليب العبارات الشعرية. وصياغة الجمل في القصائد كبنيات صغرى تتوارد وتتوالى، حسب التدفّقات الشعورية والموجات النفسية التي تشكّل في مجملها العام ملامح دائرة التواصل والتأثير التي تتسلط على أفق انتظار المتلقي.

وممّا يجب التذكير به هو أن دراسة النماذج الشعرية المختارة من ديوان حازم في هذا المبحث هي دراسة تطبيقية لا ترضى بالتحليل الوصفي الجاف، بل تذهب إلى أبعد من ذلك، حيث تعاين أساليب الخبر كملمح أسلوبي يشكّل قوة ضاغطة تتسلّط على أفق انتظار المتلقي، لتحرك مثيرات الانفعال فيه.

أمّا توجّهه اللافت بشكل كبير إلى توظيف الأساليب الخبرية، بحسب النسبة المذكورة سابقا، فقد يرجع إلى عوامل كثيرة منها: عاملي الزمان والمكان وكل الظروف التي حدثت له في تلك المرحلة من حياته، وما حدث للمسلمين ببلاد الأندلس، وما حقّقه الحفصيون في شؤون الملك والخلافة ببلاد المغرب الإسلامي. وذلك يناسب التقرير والاسترسال في الخطاب.

وكل هذه العوامل مجتمعة شكّلت شعاعا ذاكيا، ومادة دسمة كوّنت مصدر إلهام للشاعر يزوّده بالمعاني والأفكار، حيث أن حازما عبّر عمّا يجول في خاطره وما جادت به قريحته في قصائد متنوعة الأغراض، تحرّكه رغبة ملحّة وطموح جامح تجاه هدفه المنشود العودة إلى مسقط الرأس، وهذا الاتجاه في الشعر يتناسب مع الأساليب الخبرية التي تلائم الوصف والتشخيص والحكي والرواية.

ولكن هذا "لا يعني أن هياكل الكلام انتهت في ـ ديوان حازم ـ إلى التلفيق وإنما يعني أنها قامت على التوفيق بين أصول في النظم، باحترامها كان السّمو بالجانب

الثقافي من صورة الجمال، وبين شطحات الفن، بالانسياب إليها كان الفوز برسم العطاء الشخصي فيها"[1].

فقد قامت وحدات الكلام في شعر حازم على دوافع انفعالية ذاتية نابعة من وعيه الفردي، وفي الوقت ذاته كانت تحركاته في مجال النظم تحدّها الأطر التي أسسها الوعي الجمعي العربي الأصيل السابق عنه في هذا المضمار.

ب . التواصل بأساليب الإنشاء:

"الإنشاء: هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه"[2]. والأسلوب الإنشائي من الأساليب التواصلية اللغوية التي تحدث حركة وفاعلية في الخطاب الأدبي، إذ به يتحوّل هذا الأخير. حسب علم البلاغ . من المستوى الإخباري إلى مستويات التعجب والانبهار والطلب والحث والنهي والنصح والعرض والتحضيض والمدح والذم والنداء والمناجاة.

وكل هذه الظواهر الأسلوبية تعمل في كيان النص الأدبي على تحريك مولّدات الانفعال والتفاعل في المتلقي عندما يصطدم بها أفق انتظاره. "فإذا كان الخبر يمثل اللغة في جانبها القار. فإن الإنشاء يمثلها في جانبها المتحرك. فالأساليب الإنشائية طلبية كالأمر والنهي والاستفهام والتمنّي والنداء، أم غير طلبية كالتعجب والمدح والذم والقسم، أبرز مظاهر اللغة التي تعرب عن حيويتها"[3].

وإذا كان جهاز النص الشعري لا يشتغل في منحى واحد، فإنّ ثمة ظواهر ومظاهر لغوية وظيفية يقوم عليها، تحدّد طبيعة اشتغاله وتلوّح بخلفيات تكوينه ومصادر إنجازه. وبالنظر في بنياته التكوينية مجتمعة يلمح القارئ دور وعمل تلك الأجزاء كلحمة شعرية متّحدة. "فالمبدع مدفوع بالطبيعة البشرية والخصائص اللغوية وجنس النص

---

(1) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، 71 .

(2) غريد الشيخ: المتقن في علوم البلاغة (المعاني. البيان. البديع والعروض)، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص4 .

(3) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص49 .

والسياق. والمحلل محكوم بنفس الإكراه، لكن لكل من المحلل والمبدع تجربة خاصة تجعل كلا منهما يسير في مسار معين. إن المبدع والمحلل مسيّران من قبل المعرفة الخلفية المختزنة في الذاكرة المتصرف بها فيها من قبل الخيال"[1]. تربطها وشائج تقوّي فاعليتها الوظيفية وتبرّر وجودها في عالم النص الحيوي المتعدّد الأساليب.

"وهذه الأساليب تعرب عن تلك الحيوية بأربعة عوامل رئيسية، لا تستغني عنها أو عن بعض الأساليب الخبرية، ولكنها لا تقوم عليها أساسا كما تقوم الأساليب الإنشائية:

أولها: العامل الصوتي: فمن مقومات التراكيب الإنشائية، وخاصة منها الطلبية: النغمة الصوتية فهذه لا تنخفض في آخرها، لبقاء الكلام في حاجة إلى جواب بالقول أو استجابة بالفعل أو تعليق أو ما من شأنه أن يجعل الكلام منفتحا غير منغلق.

ثانيها: العامل النحوي أو الصرفي: فالتراكيب الإنشائية ترتكز على أدوات خاصة (كالأداة في الاستفهام أو القسم) أو صيغ معينة تبني عليها بعض عناصرها (كصيغة الأمر في الأمر، أو صيغة ما أفعل أو أفعل به في التعجّب) وتساهم فيها هذه العناصر بأكبر قسط في تحديد مدلولها.

ثالثها: العامل اللغوي البلاغي: فمن مقوّمات هذه الأساليب . ظاهرها . الترجمة عن الانطباعات العاطفية دون المقرّرات العقلية. فهي تعكس أزمة الشعور وحيرة العقل أكثر من حقيقة العلم وصادق الرأي.

رابعها: العامل النفسي المنطقي: فهذه الأساليب تنبئ بقيام حوار، وقد تفضي إليه وقد لا تفضي، وبحسب ذلك تتلوّن معانيها ودلالتها"[2].

---

(1) محمد مفتاح: النص: من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع ـ المدارس ـ الدار البيضاء، المغرب، ط ، سنة (421 هـ/000! ص2¦ .

(2) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص(49¦ /50¦).

والبحث في معاني الأساليب الإنشائية وتحديد أنواعها وصيغها حسب قوانين البلاغة المعيارية، إذا لم يُشْفَعْ بنظرة شمولية كلية أسلوبية لا يزيد شيئا في معنى النص الظاهر، ولا يخرج عن دائرة الوصف الخالص، أو الإحصاء الوصفي. وقد تجاوزهما الدرس الأسلوبي المعاصر الذي أضحى يتغلغل إلى بنى النص العميقة التي تشكّل بؤرة النص ونواته.

حيث "يستمدّ مفهوم الخطاب قيمته النظرية، وفعاليته الإجرائية من كونه يقف راهنا في مجال النقد الأدبي الحديث في نقطة تقاطع/تلاقي بين تحليل النصوص والإجراءات التطبيقية التي تتطلّبها عمليات التحليل، والأعمال الأدبية الإبداعية بصفة عامة باعتبارها نظاما مغلقا لا يحيل إلاّ على نفسه"[1].

منطلقا من معطى اللغة وتشكّلها الأسلوبي، آبهًا في الوقت ذاته بظروف العصر وأحوال صاحبه. "بهذه العوامل تنشّط الأساليب الإنشائية مراحل النص إذا داخلته وتعرب أكثر من غيرها من الأساليب عن حاجة الباثّ إلى مساهمة المتقبّل الذي يتحوّل فيها من متقبّل مجرد إلى طرف مشارك . والملاحظ أن الحاجة إلى مساهمة المتقبّل هي أكثر إلحاحا فيما سمّاه العرب . موفّقين . بالإنشاء الطلبي"[2].

لهذا قد تتجاوز إجراءات التحليل في هذه المقاربة الطرح التقليدي التصنيفي الذي يقوم على تحديد نوع الأساليب طلبية وغير طلبية وفروعها المتنوعة، إلى البحث في خيوط التواصل اللغوي عبر تلك القنوات، والكشف عن مستوى الحوارية التي تدور بين المبدع والمتلقي دون الخروج عن الأطر التي تدور في فلكها مولّدات النص وما تنوء به من رؤى العالم وقضايا الوجود عبر عجلة التاريخ وصراع الذات مع تقلبات الدّهر.

وقد كان توجّه حازم القرطاجني في شعره إلى توظيف الأساليب الإنشائية بنسب متفاوتة من قصيدة لأخرى، حسب مقتضيات الأحوال والمناسبات والأغراض التي نظم

---

(1) عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص11 .
(2) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص150 .

فيها قصائده، وما جادت به قريحته تجاه القضايا التي شغلت خواطره، ويمكن رصد ذلك في الجدول التالي:

نوع الأسلوب	تعجب	أمر	استفهام	نداء	نهي	صيغ المدح
عدد الأبيات	101	67	27	21	5	1
النسبة	%46.11	30.59 %	%12.32	9.58 %	%2.28	%0.45
عدد أبيات الأسلوب الإنشائي في الديوان.					219	
نسبة الحضور في الديوان.					%12.37	

من خلال هذا الجدول الإحصائي يتبيّن أن اتجاه الشاعر إلى توظيف صيغ التعجّب هو المهيمن على باقي الصيغ الأخرى، إذ حضر في **(101)** بيتا من مجموع قدّر بـ: **(219)** بيتا، وبنسبة قدّرت بـ: **(46,11%)**، وهذا ما قد يعكس الوضع النفسي الذي كان يعيشه الشاعر جرّاء الأحداث التي مرّ بها في حياته، جعلته حائرا متعجبا في تصرفات الزمان العجيبة، وأسرار الدّهر المحيّرة التي جعلته يعيش في ترحال وتنقل من مكان لآخر ومن بلاط لآخر، ومن وضع اجتماعي لآخر، وما يصاحب ذلك التحوّل الظاهر من تحوّل عميق في النفس والفكر والخواطر جرّاء محاولة التّكيّف والتّعايش مع الأوضاع الجديدة.

أمّا أقل نسبة سجّلت في الجدول السابق هي نسبة صيغ المدح التي قدّرت بـ: **(0,45%)**، وذلك بحضوره مرّة واحدة في الديوان، من مجموع **(219)** بيتا، التي حضر فيها الأسلوب الإنشائي، وترجع هذه النسبة إلى عدة احتمالات منها: أن صيغ المدح تمتاز بنوع من الثقل التركيبي، والأسلوب الشعري يميل إلى السلاسة في اللفظ والإيحاء في المعنى والعذوبة في الموسيقي.

كما يمكن القول بأن الشاعر حازم اعتمد في مدحياته الشعرية منحًى يقوم على قوة التأثير وكفاية التعبير، في رصد ووصف مناقب ومثالب الممدوح، والتفنّن في تصوير وتشخيص خصاله وصفاته بطريقة تميل إلى تحقيق استمالة المتلقي وجلبه، وذلك بإرسال زخم هائل من التراكيب اللغوية الساحرة والألفاظ الجزلة الموحية.

وباعتبار أن الخطاب الشعري إبداع فنّي، فهو لا يميل إلى الصيغ الجاهزة بقدر ما يتجه إلى خلق أنساق أسلوبية جديدة على مستوى الشكل، أمّا على مستوى المضمون والمعنى، فإنّ النص الشعري ينقل تيّارا دلاليا تأثيريا، من مولّدات الانفعال لدى المبدع إلى المتلقي، أمّا صيغ المدح وما شابهها من أساليب؛ فإنها توحي بطاقة التأثّر والتّفاعل مع المواقف والمشاهد.

ويرى محمد مفتاح "أن النص الشعري هو بمثابة جملة واحدة آمرة أو ناهية أو متوجعة، وإذا ما اعترض بأنه قد يكون في النص جمل خبرية، فإنه يمكن أن يرد عليه بأن تلك الأشعار والجمل نفسها محكومة بذاتية مقدرة"[1].

الخاتمة:

لقد نظم حازم القرطاجني قريضه، مستغلا في ذلك طاقة التناغم والتناسب بين مشاعره وأحوال أهل الأندلس، والتي جسّدتها الأساليب الشعرية بنوعيها (الخبرية والإنشائية) والعبارات الوصفية التي حفلت بها الكثير من قصائده، حيث أسّس مواد بنائها الشعري على دعائم بيئية وظروف اجتماعية عكست وضع الحال وهاجس المآل، في زمن غابت فيه النخوة، ودبّ سقام العداوة بين الإخوة.

---

(1) محمد مفتاح: النص من القراءة إلى التنظير، ص17 .

موفق عبد السميع

فكانت تجربته الشعرية مزيجا بين أسلوبي الخبر والإنشاء، إذ وظّف الأسلوب الخبري بمختلف أنواعه في مواقف التقرير والإقرار، والأسلوب الإنشائي في مواطن الانفعال والتفاعل بالمواقف والمشاهد، وهذا النوع من التواصل الشعري يحدث علاقات مع المتلقي، أحيانا تكون موافقة لأفق انتظاره، وتارة أخرى تكون صادمة مفاجئة.

إنّ الفاعلية الشعرية من وراء سياق النظم ونسقه في قصائد حازم القرطاجني، تولّد في المتلقي ردود أفعال متنوعة، منها ما يكون على المستوى العقلي والفكري، ومنها ما يكون على المستوى العملي والسلوكي. ويلجأ المبدع إلى توظيف الإنشاء في حالة الانتقال من خطاب العقل والفكر إلى خطاب الفعل والعمل، كما يستخدم أساليب الإنشاء كذلك كفواصل انتقال بين مختلف الأغراض، لكسر الرتابة الروتينية في المنطوق الشعري.

وتظهر وظيفة الأساليب في النسق الشعري عند حازم بصورة جلية حينما تجسد ما نادت به البلاغة العربية القديمة، كيف لا؟ وهو الناقد الشاعر صاحب كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حيث كان يتخير اللفظ في التجربة الشعرية وينتقي العبارة بعناية خاصة ولكأنه فقيه محترس يخشى الفتوى بغير علم.